

هل حاجات الأبناء واحدة؟



لا يوجد مثال واحد للتربية ولا توجد قواعد محددة لا يمكن الحياذ عنها في التربية. فالتربية تحتاج إلى تعديل على مقاس الأشخاص (أهل وابن) بحسب طبيعة العلاقة والمراحل العمرية وبحسب ثقافتهم ونسجهم. وبالتالي وعلى هذا الأساس نراها في تعديل دائم من مرحلة عمرية إلى أخرى، بحسب جنس الأولاد، كما وأنّ العلاقة وطبيعة العلاقة والتربية تختلف بين الأم والأب وعلاقتها بالأولاد. كما من المهم الأخذ بعين الاعتبار أمراً قلما يتنبه إليه الأهل أو حتى لو تنبهوا له فنراهم ينكرونه وهو نوعية العلاقة التي تختلف كثيراً بين الأهل وكل من الأبناء. فعلى الرغم من أنهم يعتبرون أنفسهم منصفين وعادلين في التربية، فهناك عدد من العوامل تلعب دوراً في التمييز.

فعلاقة الأهل بالأبناء مرتبطة بعمر الأبناء، تطور العلاقة على مستوى العلاقة الأحادية مع الوالدين في حال انفصال الأهل أو حتى في المنزل الواحد فيطور الولد علاقات مختلفة مع كل من الأبوين.

وكل ذلك مرتبط بحاجات الأبناء التي لا تشبه بعضها بين الأخوة ولا حتى بالنسبة لنفس الولد في مراحل عمرية مختلفة. فهناك فارق بسيط يسمّى بالدوزنة على أوتار العلاقة بين الأبناء وهذا الفارق مرتبط

بتصرف الأهل بالعدل أكثر منه بالمساواة بين الأخوة. فهم أساساً لن يعدلوا بين الأبناء نظراً لاختلاف الديناميكية بين الأهل من ولد إلى آخر. فالولد الفارض نفسه وشخصيته قويّة نراه ينتزع حقوقه من الأهل على الرغم من أنهم في الكثير من الأحيان يقصرون في حقه اعتباراً منهم أنه سوف يطالب بحاجاته حين يريدّها وبالتالي يولون أهمية أكبر للأخوة الآخرين. وفي معظم الأحيان بسبب عدم إدراك الأهل تأتي تلبية حاجات أحد الأبناء على حساب أبناء آخرين ما ينتج عنها إمّا رفض وكره للأخ أو الأخت المعنية أو غيرة أو تباعد عن الأهل وأحياناً رفض لهم، وبالتالي خلق عالم خاص للعيش فيه.

حين نطن كأهل أننا نتعامل مع الأبناء بنفس الطريقة أو نطن أننا نعدل مع الأبناء، نكون مخطئين وبالتالي قد يؤدي هذا الفعل إلى الكثير من الاضطرابات النفسية لدى الأبناء والتي تظهر بحسب العمر وحدة تأثيرها في الأبناء وطبيعة شخصية الأولاد مثل غياب الثقة بالنفس، كراهية وغيره تجاه الأخوة، تباعد مع الأهل، تراجع في المدرسة، عدم النوم، بكاء أو إنزواء وغيرها من العوارض التي قد لا تبدو مرتبطة بحاجات الولد، لكنها مرتبطة بشكل مباشر بكل شيء.

هذا إذا كنّا نتحدّث عن الحاجات في التربية والاهتمام بالأبناء، لكن هناك حاجات خاصة فريدة لا تقل أهمية عن أي حاجات أخرى. لذا على الأهل الوعي الكامل لمرافقة الابن ومعرفته عن كُتب والانتباه لأدق التفاصيل مثل التعامل بشكل صحيح مع مشاعره ومن أبرزها الخوف.. فحتى مخاوف الأبناء قد لا تكون متشابهة مثل الخوف من العتمة والخوف من ترك الأهل له وحيداً، فإذا كان أحد الأخوة لا يخاف من العتمة فهذا لا يعني الإستخفاف بخوف الأخ الآخر، على العكس يجب مساعدته لتخطيه. بالإضافة إلى حاجة الأبناء إلى أوقات مختلفة للدرس، فمنهم مَن يحتاج لساعات طويلة كي ينتهي من القيام بفروضه المدرسية.. فلا يمكن للأهل التعامل مع كل الأبناء بنفس الطريقة وإعطائهم نفس الوقت للدرس، إنما عليهم إيجاد محفزات تناسب مع كل ولد. حتى في اللعب، فحاجات الأولاد تختلف كثيراً من ولد إلى آخر، فنوع اللعب والحركة التي يحتاج لها الولد تختلف عن حاجات أخيه أو أُخته، لذلك حين يدرك الأهل هذه الفوارق تحديداً حين يكون الفارق عائقاً بالنسبة للإبن، تسهل المهمة ويشعر الولد بالراحة.

عزيزي القارئ!

في أغلب الأحيان ما يقوم به الأهل من أخطاء في التربية والتعامل مع الأبناء والتقصير الذي يقومون به تجاه الأبناء لا يكون عن قصد ولا بنية قهر الولد، فأحياناً يطن الأهل أن المعاملة بالمثل أي

بالمساواة هي الحل للتربية السليمة، في حين أنّ الفارق بين المعاملة بالمثل والمعاملة بالعدل والإنصاف ينقصها معرفة الأهل جيداً لأبنائهم والعيش قريبين منهم بمعنى المراقبة عن بُعد لتصرفات وطباع وسلوكيات وحاجات الإبن التي غالباً ما يعبر عنها بكل الطرق إلّا بالكلام، والإصغاء لهذه الحاجات أكثر من فرض نظام موحد قد يخلق إحباط لدى بعض الأولاد ويتماشى مع قدرات الأبناء الآخرين، في حين أنّ الوعي ضروري في تطبيق هذه التقنية إلى عدم إثارة غيرة أحد الأبناء إذا تطلب الوضع اهتماماً أكبر بأحد لتأمين والتعامل مع حاجاته.

*د. كارين ايليا / معالجة ومستشارة نفسية للأزواج